همموم روائية

أكتب كما أحب أن أقرأ الأدب

شكري المبخوت

تقف هذه الزاوية مع روائي عربي عند أسئلة الرواية العربية اليوم، في محاولة لرسم مشهد الرواية العربية وتشخيص حالها من خلال كتّابها. «القول بأنّ الجوائز أعادت الرواية العربيّة إلى الوراء كلام مبالغ فيه. للجوائز ضمن الجهاز الأدبيّ دور في تطوير سوق النشر»، يقول الروائي التونسي لـ«العربي الجديد»

شكري المبخوت (Getty)

بطاقة

أكاديمي وروائي تونسيّ من مواليد 1962. له في الرواية: «الطلياني» (2014)؛ وقد حازت على «الجائزة العالميّة للرواية العربية - البوكر»، و«باغندا» (2016)، و«مرآة الخاسر» (2019)، و«السيرة العطرة للزعيم» (2020)، و«السيّد العميد في قلعته» (2022)، و«يوميّات نور في العشر الأواخر من الأربعين» (2023). له في القصة «السيدة الرئيسة» (2015)، وقصة للأطفال بعنوان «مدينة الناجحين» (جائزة عبد الحميد شومان لأدب الطفل).

دبي ـ **العربي الجديد**

■ كيف تفسّر ظاهرة الاهتمام بالرواية العربية في العقدين الأخيرين؟

بدءاً، هذا الاهتمام بالرواية ليس خاصّاً بالقارئ العربيّ. فقد فرضت هذا الملحمة البورجوازيّة نفسها منذ أواسط القرن التاسع عشر، وجذبت انتباه القرّاء العرب منذ أواخر القرن نفسه، حتى قبل أن تظهر الرواية التي كتبها العرب، فقد كان الإقبال على الترجمات التي كانت تنشرها صحف مختلفة في مصر بالخصوص لافتاً للانتباه. وفي جميع الحالات كان السرد دوماً بقطع النظر عن أشكاله القديمة (الخبر والمثل والمقامة والحكاية... إلخ)، أو الحديثة كالرواية والقصّة القصيرة، مسيطراً لولا هيمنة فكرة موروثة غير مطابقة للواقع مفادها أنّ العرب أمّة شاعرة. وحتى إذا سلّمنا بذلك فإنّ السرد بحبكاته، وقدرته على التمثيل أداة معرفيّة لفهم العالم، وتنظيم الفوضى وإكساب ما يجري دلالة ما. لذلك أرجّح أنّ التحديد بالعقدين الأخيرين قد يكون انطباعيّاً بسبب ما يتوهّم أنّه فورة في الإقبال على كتابة الرواية. والواقع أنّ الثقافة العربيّة ما زالت تنتج روايات أقلّ ممّا يُنتج في الثقافات الكبرى. وإذا افترضنا هذه الفورة التي تحدّثت عنها فهي تعني أنّ جنس الرواية يقدّم للكتّاب مجالاً أوسع من الشّعر مثلاً لقول المجتمع والذات، وأن القارئ يجد فيها معرفة ما أدبيّة وغير أدبيّة على الدارسين تحديدها.

■ هل توافق على أنّ الرواية العربية اليوم تسير بلا حركة نقد جديّة توازيها، وهل أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي بديلاً عن النقد والنقّاد؟

ضعف النقد من ضعف العلم بالأدب عند العرب وخصوصاً في الجامعات العربيّة. فالثقافة النقديّة العامّة رغم تطوّرها بفضل تراكم النصوص النقديّة المختلفة في الجامعات والصحف والمجلّات، لم تتجدّد على نحو تمثّل فيه أساساً عميقاً للكتابة عن الأدب إلا في ما ندر. علاوة على ذلك، يوجد خلط بين البحث الأكاديمي في الرواية من جهة، والنقد الأدبيّ من جهة ثانية. فرغم العلاقة بينهما فإنّ المهام والأطر والمقامات مختلفة. لاحظ أنّ تراجع الصحافة عموماً والصحافة الثقافيّة ضيّقَ منابر الكتابة النقديّة عن الأدب عموماً، والرواية على وجه الخصوص، وهو ما فتح الباب للانطباعات التي نجدها في وسائل التواصل الاجتماعيّ. ولكنّ هذه الارتسامات قد تكون شكلاً آخر من النقد السريع بيد أنّه لا يعوّض بأي شكل النقد الذي نعرفه ونعترف به. وأرجّح أنّنا ذاهبون إلى تعايش صنفين من «النقد»: النقد الأكاديمي الذي يرمي إلى تطوير المعرفة بالأدب إذا كان جدّيّاً في منطلقاته النظريّة ومفاهيمه ومناويله الإجرائيّة، والنقد السريع الانطباعي الذي يعبّر من خلاله القارئ عن تفاعله الآنيّ مع ما يقرأ.

■ هل هناك قارئ افتراضي تفكّر به أثناء الكتابة أو عند دفع الكتاب للنشر، وما هي ملامح هذا القارئ؟

شخصيّاً أكتب كما أحب أن أقرأ الأدب. فثمّة شيء ذاتيّ جدّاً. وفي الآن نفسه، أنا الكاتب والقارئ الأوّل لنصّي. ولمّا كانت الكتابة فعل تواصل وتخاطب فإنّ القارئ حتى بملامحه الغائمة حاضر بالنسبة إليّ زمن الكتابة. وشخصيّاً آخذ بعين الاعتبار في ضرب من بيداغوجيّة التأليف أفق انتظاره بالمخالفة او المطابقة ضمن لعبة فنّيّة أُحاور فيها القارئ ضمنيّاً لشدّه وتشويقه

> الثقافة النقديّة العامّة لم تتجدّد لتمثّل أساساً عميقاً للكتابة

وتخييب انتظاره أحياناً عن قصد.

■ كروائي من هو فريقك، هل تعتمد على محرِّر أثناء كتابة العمل أو مُدقِّق بعد الانتهاء منه؟

من البديهيّ عندي أنّ الكتابة عمل فرديّ ينجز في ورشة الكتابة، ولكن النشر عمل جماعي تتدخّل فيه أطراف عديدة. فلي أصدقاء أثق فيهم يطلعون على المخطوط ويبدون آراءهم التي أعتمدها في التحرير أحياناً. ولي محرّر أدبي فذّ هو ناشري حسن ياغي، أصغي إلى ملاحظاته بانتباه. ويدقّق نصوصي زملاء عديدون ورغم ذلك تمرّ بعض الأخطاء البسيطة. عموماً الرواية المنشورة لا يمكن أن تكون هي نفسها، ولو بدرجات متفاوتة، الرواية المخطوط قبل أن يطلع عليه هؤلاء.

■ ما هي علاقتك بناشرك وإلى أي درجة تعتبره شريكاً؟

من حسن حظّي أنّ علاقتي بناشري ومحرّري الأدبيّ علاقة صداقة قويّة تقوم على التفاعل الفكري والحوار والثقة والاحترام والمودّة. قد أكون محظوظاً في هذا. ولكنّني أتنازل له في أحيان كثيرة عن نرجسيّة المؤلّف لثقتي في رأيه ومعرفته بالأدب الروائيّ ورحابة ثقافته الأدبيّة. وهو يترك لي بدوره حرّيّة الأخذ بمقترحاته أو ردّها. وأنا مدين له في هذا بالكثير.

■ تثير جوائز الرواية جدلاً بين من يشكّكون بمصداقيتها وجدِّية القائمين عليها معتبرين أنها أعادت الرواية العربية إلى الوراء، وبين من يعتقدون أنها تساهم في ازدهار فن الرواية وتنشيط سوقها في العالم العربي؛ كيف تقرأ هذا المشهد وكيف تتعامل معه؟

الرأيان يجدان من المؤيّدات ما يؤكّدهما مبدئيّاً. لا أميل إلى مثل هذا الجدل العقيم. شخصيّاً شاركت في تحكيم بعض الجوائز المحلّيّة التونسيّة والعربيّة، وأعرف أنّها تتفاوت من حيث المصداقيّة والجدّيّة، ولم أتوان عن رفض ما يسيء إلى الجوائز مهما كانت ممّا لا يعرفه القرّاء داخل اللجان كلّما وجدت قلّة نزاهة. غير أنّ صدقيّة اللجان من صدقيّة أعضائها والقائمين عليها. لكن القول بأنّ الجوائز أعادت الرواية العربيّة إلى الوراء كلام مبالغ فيه، بل كاذب. فألّا يحصل روائيّ ما على جائزة حتى إن افترضنا انّه «ظُلم» لا يعني أنّ الرواية العربيّة تخلّفت بسبب تجاهل نصّه العبقريّ؛ فيلجأ إلى تحريك شبكة علاقاته للضغط الإعلامي المريب، وتسريب الإشاعات والنميمة في الوسط الأدبيّ ليشكك في الجوائز ولجان التحكيم. المعادلة بسيطة: إذا كنت ترى الأمر على هذا النحو فامتنع عن المشاركة في الجوائز التي تعتقد انّها بلا مصداقيّة وغير جادّة. ومن ناحية أُخرى للجوائز ضمن الجهاز الأدبيّ دور فعلاً في تطوير سوق النشر، وحتى توجيه الأذواق. لكن لا ننسى أنّ الممارسة الإبداعيّة هي المنطلق، ولا أعتقد أنّه يوجد نصّ حقيقيّ تحطّ من قيمته الجوائز أو تمنحه مكانة فوق ما يستحقّ إلا نادراً. فنتائج الجوائز في نهاية الأمر ضرب من القراءة الجماعيّة لنخبة من المحكّمين لهم أذواق محدّدة، واختيارات جماليّة معيّنة وليسوا مجموعة من الأساتذة يقيّمون طلبة بمعايير مصطنعة. لا يوجد في الأدب إجماع على معايير وإلّا لأمكن لدور النشر العالميّة الكبرى أن تنشر بفضل محرّريها الأدبيّين المحترفين روائع كلّ أسبوع. شخصيّاً أعرف أن الكثيرين لم يروا روايتي جديرة بالبوكر، وأنا أيضاً رأيت أنّ بعض اختيارات لجان البوكر ليست صائبة في هذه الدورة أو تلك. ولكنّ التشكيك في جدّية أهمّ جائزة عربيّة الآن عمل ترذيل غير لائق. أتحدّث عن البوكر تمثيلاً لا حصراً، لأنّها تثير في الغالب الجدل ويتمنّاها أيّ روائيّ عربي اليوم.

■ كيف تنظر إلى ظاهرة ورشات تعليم الرواية، وعلى المستوى الواقعي ما هي ورشة الروائي أو محترفه برأيك؟

قد تكون مفيدة لبعض الكتاب الموهوبين في صقل أدواتهم لأن الكتابة اليوم لم تعد موهبة فقط، بل تقوم على المعرفة بأنواعها. لكن الثابت أنّ هذه الورشات لا تصنع المبدعين، ولم يدّع أحد من المدرّبين أنّه قادر على أن يجعل من شخص، بلا خبرة حياتيّة أو معرفة أدبيّة، ولا يقرأ الروايات وينتبه إلى أساليب الكتابة وتقنيات البناء ولو ضمنيّا، روائيّاً.

■ كيف تفسّر صعود ظاهرة الرواية «الأكثر مبيعاً» في العالم العربي؟

هذه الظاهرة إذا كانت قائمة على إحصاءات سليمة فهي مفيدة في تبيّن ميول القرّاء، ونزعات الكتابة داخل السوق الأدبيّ العربيّ. فالكتاب ظاهرة اقتصاديّة وتجاريّة أيضاً، وإن كان أغلبنا ينزع إلى نوع من المثاليّة في نظرتنا إليه بحكم تصوّرنا التقديسيّ له. لكن الأكثر مبيعاً لا يطابق بالضرورة الأجود أو الأكثر تجديداً وإبداعاً، ولا يعني أنّه بالضرورة من الأدب العالميّ.

■ ما هو برأيك موقع الرواية العربية على خريطة الإبداع العالمي؟

بكلّ صراحة موقع محدود جدّاً لأسباب متعدّدة. منها أنّ سوق الأدب والإبداع في العالم تعيش وفرة وافرة، ومن الصعب أن يحتلّ الإبداع العربيّ موقعاً بارزاً فيها. ومنها أنّ الإبداع في عالمنا العربيّ، وإن كان يتطوّر ويعمل على التعبير عن تنوّع مجتمعاتنا وتعدّدها، والكشف عن خصوصيّاتها ومميّزاتها، فإنّ نسق تطوّر الفنّ الروائي في العالم سريع جدّاً. ولكنّ العامل الحاسم في ظنّي أنّ المتحكّمين في السوق نشراً وتوزيعاً وانتقاءً لما يترجم وإشهاراً وتأثيراً إعلاميّاً... إلخ متمركزون في المدن العالميّة الكبرى، باريس ونيويورك ولندن بالخصوص، وبعض المدن الأخرى. فالاحتكار الجمالي والأدبي لا ينفصل عن الاحتكار الاقتصادي والتجاريّ. ووضعنا الأدبيّ صورة من وضعنا الحضاري العام.

■ ماذا تقول لروائي عربي شاب يكتب روايته الأولى الآن أو يُفكر في كتابتها؟

لا شيء خاصّاً. فقط عليه أن يقرأ كثيراً من الروايات المختلفة خصوصاً الكلاسيكيّات العالميّة، وألا يغترّ بدعاة كسر قواعد الرواية من نقاد أو روائيّين، وأن يختار الأسلوب الروائي الذي يعجبه، وعند الكتابة سيبرز هل هو حكّاء أم لا؟

مشهد

تعالوا انظروا الطفل يُدفن بأعضاء ناقصة كثيرة

إبادة كل يوم وساعة

طفل فلسطيني ينظر إلى مسجد الفاروق الذي دمره القصف الإسرائيلي على رفح، جنوب قطاع غزة، 25 شباط/ فبراير 2024 (Getty)

> تعالوا انظروا أحدث تكنولوجيا القتل تحوم في سماء الأنبياء. تعالوا انظروا الفيزياء الفلكية للجنون. ولا تقرأوا ما يكتب الغرب في صحفه الكبرى

باسم النبريص

كيان الاحتلال لم يتغيّر منذ نشأ، وبقواعد واضحة: القتل من أجل القتل. اليسار الصهيوني المقنّع أسّس الكيان بالقتل، واليمين يواصل المسيرة دون أي قناع. لا جديد تحت شمس الصهاينة، إلا أوهام المطبّعين.

كان هذا الكيان وسيظل نسخة مصغّرة عن عتاة المجرمين الإنكليز الذين أسّسوا أميركا على دماء 117 مليون مواطن من السكان الأصليين، وعلى جبال من جماجمهم. الكيان سيتغيّر فقط عندما تتغير أمّه أميركا، وهذه لن تتغير إلّا بالردع وإعمال القوة. بغير هذا، لن نرى جديد المستعمرتَين، وستظلّ فصول التاريخ تُعيد نفسها بشكلَي ماركس: المهزلة والمأساة. المهزلة من داخل المستعمرتين، والمأساة تصدرانها للخارج الأضعف منهما. الغربي إن لم تكن ندّاً له في القوة، مسحك عن ظاهر الأرض.

الغرب الذي خدعنا طوال قرن من الزمن ونيّف، عن طريق الحداثة والتنوير: الثقافة والفنون، حتى بات مرجعنا الأعلى في كل شأن، ها هو يعود إلى عنفه الاستعماري العاري، كاشفاً عن وجهه الحقيقي، في فلسطين اليوم، بعد أن نكّل أمس (وما زال) بالأبرياء في أفغانستان والعراق وسورية، واليمن وفنزويلا، ففرّقهم أيدي سبأ، قتلاً وحصاراً وهجرات.

كل خراب في العالم يكمن وراءه الغرب. كل عدم استقرار وجوع وفقر وراءه أنظمة الغرب. كل تغريبات جنوب العالم وراءها الغرب، ولن يزول شرّه إلا بوجود قوة تعادله أو تتفوق عليه، إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد. محكومون سنحيا بهذا الغد، وإن غداً لناظره قريب، ولو ظنّوه بعيداً. أما الذين ما فتئوا مخدوعين بالغرب بعد إبادة غزّة ومبانيها، فنقول لهم ما قالته ألسنة شعوب كانت تصرخ من قبل تحت جنازير الوحش: تعالوا انظروا الدم في الشوارع. تعالوا انظروا الطفل يدفن بأعضاء ناقصة كثيرة.

> ليس كثيراً على من تأسّس عرشه على الظلم أن يواصله مصلحةً وهيمنة

تعالوا انظروا أحدث تكنولوجيا القتل تحوم في سماء الأنبياء.

تعالوا انظروا الفيزياء الفلكية للجنون.

ولا تقرأوا ما يكتب الغرب في صحفه الكبرى وإنتاج مطابعه.

هؤلاء وحوش الكوكب، ولأن المومس أكثر كائن يتحدّث عن الشرف، فقد قدمت تلك الوحوش وجهها الكذوب للعالم بأضخم كم من طبقات المكياج وأنواعها. لقد أعاد الأميركان اكتشاف أنفسهم في قطاع غزّة، بعد أن حوّلوا افتقارهم إلى ذرة صدق في القول والعمل، من جرائم عظمى، إلى موهبة تخصّ البيض. ليس كثيراً على من تأسّس عرشه على الظلم وكان مقرًّا للظلم، أن يواصل هذا الظلم كلما تطلّبت المصلحة والهيمنة. الكثير هو أن نواصل موتنا منذ قرون، وألّا نعد لهم ما استطعنا، وأن نصمت على إبادة كل يوم وساعة، كأننا موتى لا يردّون خبرًا.

الكثير والمرير أن نتطبّع مع المقتلات، معلّلين الأمر بعجزنا وهواننا على الغريب، بينما حكامنا يوغلون في الدم الطاهر، حلفاءً للاحتلال، ويمدّونه بما يحتاجه في السر والعلن.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

إضاءة

أقول إن الحرارة عالية وهي ليست كذلك

هكذا كتب ماركيز «خريف البطريرك»

> أدرك الكاتب الكولومبي أنّ رواياته إن لم تعكس الهبّات الساخنة في المناطق الاستوائية، أو عرق الشخصيات، فإنه كان مستعدّاً لإعادة كتابتها مرات عدّة

جعفر العلوني

في واحدة من تلك الفقرات التي لا نهاية لها من رواية «خريف البطريرك»، للكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز (1927 - 2014)، دون أيّة نقاط تقريباً، كما لو أنّه يريد أن يرهق قارئه، يصف الكاتب الكولومبي بطلَ روايته المسنّ، الدكتاتور زكريا؛ الذي لا يقول اسمه إلّا مرّة واحدة في الرواية، على النحو التالي: «شعرَ بالاكتئاب عندما اكتشف فجأةً أنّ كل شيء قد وجد أخيراً مكانه في العالم، كلّ شيء باستثنائه، كما لاحظ لأوّل مرّة القميص المبلّل بالعرق في مثل هذه الساعة المبكّرة، ورائحة الجيفة المتبخّرة من البحر وصفير الناي العذب الملتوي بفعل الحرارة والرطوبة. قال لنفسه ليس عن قناعة: إنّها الحرارة الشديدة».

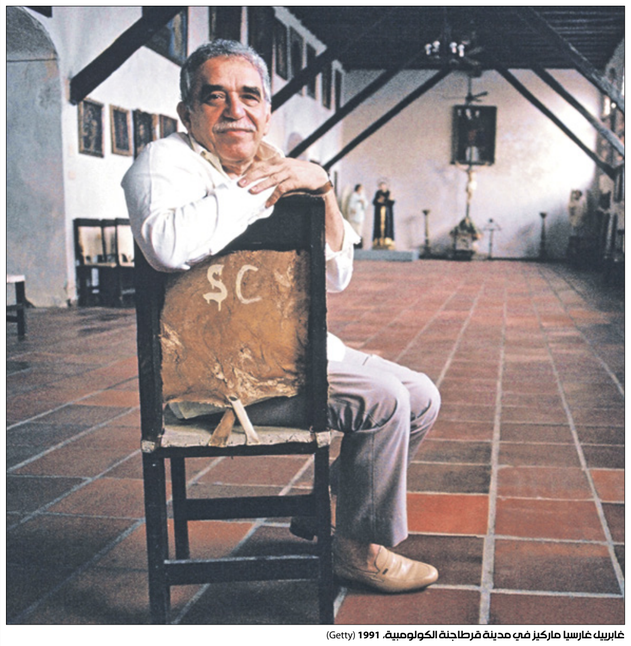

ويروي غابو في مقابلة أجريت معه عام 1972 أنّ الشعور بالحرارة المرتفعة كان شرطاً أساسياً لكتابة أبرز أعماله الروائية، بما فيها «خريف البطريرك» و«مائة عام من العزلة». وقد كان الأمر بمثابة هاجس بالنسبة له، حتّى إنّه أدرك أثناء عملية الكتابة أنّ رواياته إن لم تكن تعكس الهبّات الساخنة في المناطق الاستوائية، أو عرق الشخصيات الموجودة في رواياته، فإنّه كان مستعداً لإعادة كتابتها مرات عدّة حسب الضرورة.

ويُروى عنه أيضاً أنه اعتاد في أثناء عملية كتابة رواية ما أن ينظّم رحلة إلى بلدان تكون فيها درجات الحرارة مرتفعة إلى حدّ مؤلم، وفي حال لم يتمكّن من السفر، فإنّه كان يحرص على وضع أنظمة تدفئة صناعية في الغرف التي يكتب فيها، ليشعر بتلك الحرارة في جسده ويصفها بأكبر قدرٍ ممكن من الدقّة.

وفي الواقع، عندما كان غابو يكتب «خريف البطريرك»، اشتكى لأقرب دائرة له من الأصدقاء من أنّه لا يستطيع الحفاظ على الدفء في شقته في ساريا سانت جيرفاسي في برشلونة. فاتصل بصديقة له وقال لها: «أمس وصلت من مدريد وحتى الآن لم أبدأ بالكتابة من جديد. لقد غادرت لأنّني وجدت أنّ كتابي الجديد تافه. كنتُ أتوقّع أن يكون لي رأي مختلف عند عودتي. مع ذلك، ما زلت أجده سيّئاً. لا أستطيع أن أرفع من حرارة الكتاب. أقول إن الحرارة مرتفعة وهي ليست كذلك».

ويتابع صاحب «قصة موت معلن» في المقابلة نفسها، والتي نُشرت قبل ثلاث سنوات من طباعة «خريف البطريرك»، شارحاً الإجراءات التي تعيّن عليه أن يتّخذها كي يزيد من حرارة الجوّ: «كان هناك وقت لم أستطع فيه أن أدفّئ الجو في مدينة خريف البطريرك. بالنسبة لي، كان الأمر خطيراً، لأنّه يحدث في مدينة خيالية في منطقة البحر الكاريبي. لا يكفي أن تكتب كان الجو حارّاً للغاية وتسكت. على العكس من ذلك، كان لا بدَّ من كتابة الأمر بحيث أترك القارئ نفسه يشعر بتلك الحرارة المهلكة. الشيء الوحيد الذي كنتُ أفكّر فيه هو أن آخذ عائلتي بأكملها وأذهب إلى منطقة البحر الكاريبي، وفعلاً هناك تجوّلت لمدّة عام تقريباً، دون أن أفعل شيئاً. وعندما عدتُ إلى برشلونة مرّة أخرى، راجعت ما كتبته، وزرعت بعض النباتات ذات الزهور الكثيفة للغاية في بعض الفصول، وأضفت رائحة كانت مفقودة في مكان آخر، والآن لا مشكلة على الإطلاق. يتحرّك الكتاب بسلاسة حتى نهايته».

> دائماً كانت الحرارة: في حياته، في قصصه، وفي رواياته

هكذا ساعد طقس الحرارة المرتفعة الفائز بـ«جائزة نوبل» على كسر الحاجز الإبداعي وإنهاء روايته. ولم تكن هذه المرة الأولى التي حدثت مع ماركيز، ففي كتابه الأشهر «مئة عام من العزلة»، الذي نشره عام 1967، وتدور أحداثه في ماكوندو؛ البلدة الخيالية التي طوّر فيها العديد من أعماله، كان طقس الحرارة أيضاً ضرورياً حتى يتمكن من وصف الحرّ الخانق والكوارث والجرائم القادمة.

دائما كانت الحرارة: في حياته، في قصصه، وفي رواياته؛ حرارةٌ لا تطاق، ولكنه يبدو أنه لم يرغب ولا مرّة واحدة في الهروب منها. رحل غابرييل غارسيا ماركيز عن عالمنا عام 2014، عن عمر يناهز 87 عاماً. كان ذلك في يوم الخميس المقدّس؛ وهو اليوم نفسه الذي تموت فيه أورسولا إيغواران، إحدى الشخصيات الرئيسية في رواية «مائة عام من العزلة». وصف ماركيز تلك اللحظات على النحو التالي: «كانت الحرارة مرتفعة إلى درجة أنّ الطيور التائهة اصطدمت مثل البنادق بالجدران وحطمت الشباك المعدنية للنوافذ، لتموت في غرف النوم».

وفي يوم رحيله، ظهر أيضاً عصفورٌ ميّت داخل المنزل الذي قضى فيه الكاتب الساعات الأخيرة من حياته. ووجدوه منهاراً على الأرض بالقرب من الأريكة التي كان يشغلها.

غابرييل غارسيا ماركيز في مدينة قرطاجنة الكولومبية، 1991 (Getty)

فعاليات

تعقد منظّمة «إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية» (أريج)، في عمّان، عند السابعة من مساء الاثنين المُقبل، جلسة رقمية مفتوحة بعنوان **رحلتك في مساق استكشاف الذكاء الاصطناعي في الصحافة**، بمشاركة **روان الضامن** و**تشيبو تشابالالا**. تضيء الجلسة الفرص التي يتيحها الذكاء الاصطناعي لغرفة الأخبار.

يُفتتح في السابع عشر من أيلول/ سبتمبر المقبل، في «غاليري المرخية» بالدوحة، معرض **السماء فوق غزّة متخيلة**، الذي يشارك فيه أربعة وخمسون فناناً عربياً، وستخصص عائدات المعرض لدعم غزّة. من بين المشاركين: **يوسف عبدلكي** من سورية، و**علاء بشير** من العراق، و**حمزة بونوه** من الجزائر، و**صفاء الرواس** من المغرب، و**تيسير بركات** (الصورة)، من فلسطين، و**يوسف أحمد** من قطر.

تُعرض في «مكتبة الإسكندرية»، عند الثانية عشرة من ظهر الخميس المُقبل، مسرحية **سيدتي الجميلة** (1969)، للمخرج **حسن عبد السلام**، بمناسبة فعاليات «يوم المسرح المصري» في الإسكندرية. العرض مُقتبس من قصة «بغماليون» لجورج برنارد شو، ويتناول رهاناً بين صديقين لتحويل بائعة أزهار إلى سيدة مجتمع.

حتى الثامن من الشهر المقبل، تتواصل فعاليات الدورة الثانية والأربعين من **مهرجان ليالي سليمان** في مدينة سليمان، بالقرب من تونس العاصمة، التي افتتحت السبت الماضي. يتضمن البرنامج عروضاً مسرحية عدّة، منها: **المايسترو** لـ **بسام الحمراوي**، و**آنستي عزّة** لـ **كوثر بلحاج**، و**المهفات** للـ**هاشمي العاتي**.

ثقافة

تخصّص «العربي الجديد» صفحة «نصوص الحياة والحرب من غزّة» لشعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين من قطاع غزة، كي يعبّروا عن تفاصيل الحياة اليومية تحت القصف الإسرائيلي. هي نصوص تقول الحياة والإنسان من قلب الموت

نصوص الحياة والحرب من غزّة

يوسف القدرة شاعر

وزير شارع الأمل شهيداً

منذُ أن عُدت قبلَ عامين ونيِّف، إلى ما تبقّى من بلادٍ وذكريات، نسجتُ علاقةً جيِّدةً مع عصافير الدوريّ وقطط الشوارع، صار لنا مكان ومواقيت، تحت أربع نخلاتٍ وجوّافة، بمحاذاة سور الهلال الأحمر الفلسطينيّ، على طريق الأمل، مبتدأ حيّ الأمل، الذي عشتُ فيه طفولتي ومراهقتي، قبلَ أن أنتقل إلى العيش في غزة المدينة، أيام الجامعة، بسبب فصل الاحتلال الإسرائيلي جنوب القطاع عن شماله بحواجز لعينة سرقت أعمار الناس، وذلك قبل الانسحاب الأحادي الذي نفّذه أرئيل شارون في العام 2005. تحت أربع نخلاتٍ وجوافة وسور، على الرصيف قضيتُ معظم وقتي في نهارات العامين الفائتين وأماسيّهما، قلّما غادرت هذا الحيّز، كنتُ ألملم حالي من الدنيا، وأستعيد ذاتي من عشر سنوات غياب خارج البلاد، خلقن شرخًا في الذاكرة، كنت أحتاج إلى العصافير والقطط حولي، لا الناس، الناس قصّة أخرى تحتاج إلى شرح مفصّل. باكرًا تستيقظ العصافير، تصدح بجوقتها الصباحيّة، فوق النخيل، على أغصان الجوّافة، هبوطًا إليّ، حيثُ طعامهنّ.. كذلك تجيء القطط الصغيرة اللواتي فقدن أمهاتهن في حوادث سير غالبًا، يتجمّعن حول وجبتهن الصباحية، فيما الشمس تغسل الرصيف بدفئها، ثم يبدأ اللعب، ولعبهن يبعثُ في النفس راحة وسكينة مغمسة بالرضا، كأنني أدّيت ما عليّ من واجبات اتجاه الكون! على السور، أجلس، أترك للشمس مهمة تفكيك ما تبقى من نوم على وجهي، وللقهوة مهمة تسيّد مشاعر امتلاكي للقوة اللازمة للاستمرار في يومٍ جديد، في مدينتي التي تربطني بها علاقة مُشاهد دخل مسرحًا، فوجد مسرحية غير مفهومة له على الإطلاق، وفيه نداء عميق أن يكمل حتّى يتبيّن له معنى ممّا يحدث، وكلّما قرّر المغادرة، زاد النداء قوة على البقاء.

▪▪▪

جمعة.. وزير شارع الأمل شهيدًا

عيّنته وزيرًا للشارع، بدءًا من مستشفى الأمل مرورًا بمبنى جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، حيث السور والحيّز الذي قضيت فيه عاميّ الفائتين تحت أربع نخلاتٍ وجوّافة، ثم متنزه الهلال ونادي الأمل الرياضي وحتّى نهاية الشارع مع نهاية حي الأمل غربًا، «جمعة، أنت وزير هذا الشارع، خذ» وأعطيته ورقة مكتوباً عليها «جمعة.. وزير شارع الأمل، أعطه سيجارة»، قلت له، إذا طلبت سيجارة من شخص ورفض، فأخرج له هذه الورقة. جمعة شخص ستيني، يعاني مرضاً نفسياً منذ كان شابًا، غالبًا هو ناتج عن صدمة لم تُعالج حينها، قال لي أحد الجيران ممن يعرفونه، إنه كان أجمل شباب الحيّ، وكان عاقلًا، واجتماعيًا، لا نعرف ما حدث له بالضبط، ولكنه منذ ذلك الوقت وهو خارج عقله، لا يهدأ إلا بالحبوب المهدئة. يحرث شوارع المدينة بقدميه، يتحدث بلغة غير مفهومة، ثم ينهي جملته بسؤال «صح؟» وعليك أنت الذي صادف وجودك مروره أن تؤكد له بكلمة «صح!»! بعد قصف البيت في كانون الأول/ ديسمبر الماضي ومغادرة حي الأمل غربًا لكيلو متر، صرت إذا ما استطعت أذهب باتجاه الحيّ، حيّنا، في إحدى تلك الزيارات أخبرني أحدهم أنهم وجدوا جثّة جمعة مقتولًا برصاص الكواد كابتر في طريقه إلى وسط البلد. حزنت جدًا، جمعة كان جزءًا من صباحاتي خلال العامين الفائتين، لدي معه فيديوهات كثيرة مصوّرة على موبايلي، كنت أقول له، أنت شخصية سينمائية يا جمعة، بدّي أعمل عنك فيلم، فيبتسم، ويعدد لي أسماء إخوته وأخواته ثم يشتم الجن ويأجوج ومأجوج ولا أفهم غضبه من هابيل وقابيل، يظل يبرطم بكلام غير واضح ولا يفهم منه شيء ثم يقول لي بوضوح شديد، هات سيجارة.

تحت أربع نخلات وجوافة وسور، على الرصيف قضيت معظم وقتي في نهارات العامين الفائتين وأماسيهما

▪▪▪

هروب آخر

فجر يوم الاثنين الموافق الثاني والعشرين من كانون الثاني/ يناير، انتبهنا على صوت الدبابات قد وصلت غرب خان يونس، في الحي الياباني، قرب مركز التدريب المهني التابع لأنروا (الصناعة) حيث انتقلنا قبل أسابيع، بعد قصف بيتنا في حي الأمل. كانت ليلة مرعبة من الأحزمة النارية والغارات المتواصلة وقذائف المدفعية والرصاص، ليلة بدون لحظة صمت واحدة، منذ السابعة مساء الأحد حتى صباح اليوم التالي، إلى أن صرنا وجهًا لوجه مع الدبابات.

عشرات الآلاف من النازحين ومن الهاربين من بيوتهم بما تيسر من حاجات ضرورية، صاروا وجهًا لوجه مع كل أشكال الموت، احتمت الناس بمبنى الصناعة، فرّ آخرون نحو البحر. ثم جاء خبر الإخلاء لمناطق حي الأمل وأحياء غرب خان يونس، بدأت تغريبة فلسطينية جديدة، خروج جماعي عبر شارع التفافي يؤدي في نهايته إلى شارع الرشيد البحر، حيث ازدحام جنوني، لبشر سُكارى وما هم بسكارى، تحت أزيز الطائرات المسيرة وقذائف الدبابات كان الخروج.

أخي بسيارته، ذهب ليُخرج من تبقى في مبنى الهلال بحي الأمل، ونحن ظللنا ننتظر في الحيّ الياباني على بعد مئتي متر عن تمركز الدبابات، التي تطلق الرصاص على كل من يتحرك. ساعتين من الانتظار والرعب والرصاص، ولا يمكننا المجازفة بالخروج على أقدامنا، فالرصاص يقدح شرره أمام أعيننا، على سور مبنى الصناعة، وعلى الإسفلت، واحترقت بعض السيارات المصفوفة على الطريق، وأصيب رجل مسن في قدمه وهو يحاول قطع الطريق من رصيف إلى رصيف محاولًا الالتحاق بعائلته التي تحاول الوصول إلى بوابة مبنى الصناعة التي تقع جهة الغرب.

في انتظار الخلاص الوقت يتمدّد، يصير مقاسه بالرصاص والقذائف وصوت حركة الدبابات، تلك التي تحرّكت وأغلقت امتداد شارع خمسة والذي يقع محاذيًا لمبنى الصناعة من الشمال، وهكذا أغلقوا الطريق أمام حركة الناس الفارة من الجحيم المباغت.

من المفجع انتظار مثل هذا، كان أمر الطريق الآخر غامضًا، وإمكانية قدرة عودة أخي بسيارته صار صفرًا، الحلّ هو الخروج على الأقدام مع كل احتمالات المجازفة، أو المزيد من الانتظار، ولا شك أن في ذلك مخاطرة أكبر.

بغتة، خرج أخي بسيارته من العدم، وجهه مخطوف، كأنه جاء من فم الموت، يرجف كله، خلفه قدحت شرارات الرصاص على الإسفلت، بسرعة خارقة، أخذنا إلى السيارة ما استطعنا من فرشات وأغطية وبعض الأمور الضرورية. السؤال الذي ظل يدور في رأسي كيف ستتسع السيارة لأربعة عشر شخصاً حمولةً واحدة، فلا يمكن المجازفة بعودة أخي من أجل حمولة ثانية!

ازدادت شدة انفجارات القذائف والقصف حولنا، نحن شبه محاصرين من كل الاتجاهات وعلينا تجاوز الطريق بأي طريقة، لنذهب باتجاه الطريق الوحيد المفتوح وصولًا إلى طريق البحر، وأيّ تأخير فيه مجازفة. لا أعرف كيف اتسعت السيارة لنا نحن الأربعة عشر أطفالًا وكبارًا، لا أعرف كيف تجاوزنا الطريق تحت إطلاق الرصاص المباشر، لا أعرف كيف تجاوزنا الدبابات القريبة، لا أعرف كيف خرجنا من الجحيم، ولكني استشعرت رحمة الله في كل هذا، ألطاف الله الخفية كانت تعمل في كل خطوة، إلى أن وصلنا إلى طريق الرشيد بمحاذاة البحر.

سلام علينا، على الهاربين، المخلفين الجحيم خلفهم وها هو ذا البحر من أمامهم. سلام علينا، وعلى الذين ظلّوا محاصرين خلفنا في مراكز الإيواء.

2024.1.24

مواصي خانيونس

هيا فريج كاتبة

مخيم جباليا... الحصار

أنا ابنةُ مخيّم جباليا، هكذا أعرِّف نفسي حينَ أُسأَلُ عن سكنَي، وإقامتي، حتّى حينَ غادرتُ المخيمَ قبلَ الحرب؛ لأسكن حيَّ الرمال، أرقى أحياءِ غزّة، الذي أصبحَ -معَ كلّ أحياء غزة- حُطامًا وركامًا بعد نكبةِ غزّةَ الأخيرة.

أعرفُ أحياءَ المخيم، وعائلاتِه، وجذورَها، وأماكنَ سُكناها، أحفظُ أزقَّتَه، ودكاكينَه، ومحلاتِه، هكذا يعرفُ ابنُ البلدِ أرضَه، أما الغريبُ فيَحتارُ في الجغرافيا، وَيستقوي بالتكنولوجيا التي لا تَحميهِ من هجومِ الذئابِ الخارجينَ من الحاراتِ، الطالعينَ له من بَينِ الأزقّة، ومن قلبِ البيوتِ التي حرّقَها، ومن العماراتِ التي نسفها ودمّرها، ومن المقابر التي بعثرَ القبورَ فيها، وأيقظَ الأمواتَ من سُباتهم لهولِ ما أُطلِقَ عليهم من القذائفِ والصواريخ... ابنُ البلدِ الذي يحتضنُ أخاه، ويطردُ العابرَ ولو أتانا مدجّجًا بالسلاح، أو جاء لابسًا ثيابَ الحملان.

في الجامعةِ، وفي العمل، كنّا نتفاخرُ بين أقرانِنا وزملائنا بالترابطِ الاجتماعيِّ في المخيّم، وبِبيوتِنا المفتوحةِ للخيرِ فيه، وبِصحونِ الطعامِ المتبادلةِ بينَ الجيرانِ كلّ يوم، وبرقيِّ أهلِنا فيه، وبثقافةِ شبابِه، وانتمائِهم العميقِ إلى قضيّتِنا الفلسطينيّة. فنحنُ أبناءُ المعسكَر، أي إنّنا جميعًا جنودُ الثورةِ، وكلُّ شرارةٍ لأيِّ ثورةٍ في البلادِ لا بدّ أن تخرجَ من عندنا، ومن شوارعِنا الضيقةِ التي اتسعتْ لجماهيرِ الثوّارِ الغاضبينِ الهاتفينَ لفلسطينَ ضدَّ الاحتلال، أو ضدّ الحكومات.

أحبّ المخيم -فكرةً- كلّنا فيه متّقدونَ بالثورةِ، مشتعلونَ بالحماسةِ للقضيةِ، ومنشغلونَ بها، كلّنا لاجئون توّاقونَ إلى العودة، وحالمونَ بسُكنى الريفِ المسلوب. لا أُخفيكم سرًّا أنني في طفولَتي كرهتُ الكتل الإسمنتيّة التي قيّدتْني، وكبّلتْ مخيّلتي، فلا شيءَ غير الرماديّ في ذاكرتي، وكنتُ أريدُ أن أعودَ إلى الريف، إلى بياراتِ البرتقالِ وكرومِ العنبِ ومزارعِ الزيتونِ والنخيلِ في ذاكرةِ الأجدادِ المحكيّة.

هذا الحلمُ المستعصي على أربعةِ أجيالٍ سكنت المخيم:

جيلِ والدِ جدّي الذي نزل وحيدًا مخيم الشابورةِ في رفح، هاربًا من عجزه عن الثأرِ للنساءِ اللواتي أعدمتْهنّ العصاباتُ، وألقتْ جثثَهنّ في بئرِ القرية، ومصدومًا من مشهدِ الثوّارِ مضرجينَ بدمائهمْ تحت كرومِ العنب، مستجيبًا لدعواتِ الجيش المصري إلى المغادرةِ حتى استعادةِ القريةِ، فاضطر إلى أن يحملَ ألمَه وثأرَه وفقدَه، ويتركَ خلفَه طعامًا يكفي دجاجاتِه ثلاثةَ أيام، لكنّ القدر كان يخبئُ له رحلةَ عذابٍ، ومسيرةَ لجوءٍ مريرةً وطويلةً، له ولأبنائه ولأحفادِه وأولادِهم، حتّى أدّى واجبَه، وأعطانا الوطنَ أمانةً، وأورثَنا العزّةَ واللجوء، ودُفِنَ في مخيم جباليا شمالًا.

ثم جيلِ جدّي المقاتلِ في «جيشِ التحرير» في سيناء، الذي أنهكتْهُ الثورة، وحرمتْه صحّتَه، وأفنَتْ شبابَه، فماتَ مريضًا، لكنّه استطاعَ أن يشتريَ منزلَ العائلةِ في المخيمِ بخمسينَ ليرة مصريّة، من عرقِ جبينِه، من دونِ تسلّقٍ أو تملّقٍ أو انتفاعٍ من القضية.

وجيلِ والدي النازحِ في الشابورة نفسها، العالقِ وحده في الجنوب، الذي عمّرَ البيت في المخيم من دون منّة من أحد، وبكدِّ يدِه التي أذابتها الطباشيرُ، وبآلامِ رجليْه التي تقوّستْ من وقفاتٍ طويلةٍ أمام الطلاب.

وأنا مع إخوتي في الشمالِ: من الجيلِ الذي سَعِدَ بتأسيسِ السلطةِ الوطنيّةِ، وطارَ مع النسرِ حالمًا ببناءِ الدولةِ الفلسطينيّةِ، وعايَشَ الانتفاضةَ، وهتفَ مع المتظاهرين فيها، وشهدَ حروبَ غزّةَ الطوالَ، وانهيارَ سقفِ أحلامِه وعذابه مع سنينِ الحصار، وحاولَ جاهدًا أن يُساهمَ في الإعمار، ثمّ اصطدم -فجأةً- بإعادةِ الاحتلالِ، والاعتقالِ بالجُملةِ من دون تهمةٍ أو محاكمةٍ، وشاهدَ بأمّ عينِه النكبةَ الثانيةَ، وكيف كانتِ الوحشيّةُ سببًا رئيسًا في التهجيرِ الأولِ، والنزوحِ الثاني.

أربعةُ أجيالٍ كانت عصيّةً على النسيانِ والمساومةِ على الحقوق، رافضةً للذلّ والهوان، غيرَ متنازلةٍ عن حقوقها الوطنيّةِ التي لا تسقطُ بالتّقادم، ولا ينساها الصغارُ بعد موتِ الكبار. استطاع جيلٌ واحدٌ أخير أن يخترقَ الجدار، ويكسرَ الحصار للحظةٍ. لكنّ تحقيقَ شيءٍ من الحلمِ الذي كان يبدو بعيدًا ومستحيلًا، يعني أنْ ندفعَ الثمن من سفكِ دمنا المُراق، ومن شقاءِ أعمارنا، ومن عمارة مساكِننا. هل كانت تلكَ المحاولةُ فعلًا أسطوريًّا يستحقُّ أن تراقَ دماؤنا؛ لأجلِ التطهير -بالمفهوم المسرحيّ التراجيدي- هل كانت خطوةً لصناعةِ التاريخ لا بدّ منها ومن مكتسباتِها من حرّ الخيام وجوعِ الأنام؟ عندي دوارُ الأسئلةِ التي لا طاقةَ لي بالإجابةِ عنها، أشعرُ أنني خارجةٌ من المعركةِ بجسدٍ مثقل بالشظايا، وعقل منهكٍ من الأرقِ والترقّب، وروحٍ متعبةٍ من تلقّي الصدمات.

خارجةٌ من المعركة بجسد مثقل بالشظايا، وعقل منهك من الأرق والترقّب، وروح متعبة من تلقي الصدمات

خطَفَ الاحتلالُ أمامَ عيني قبلَ أيام خمسة عشر روحًا من حارتنا (18 أيار/ مايو 2024)، بالقذائفِ المدفعيّةِ التي داهمتْ بيوتَنا، وشارعَنا، حاولْنا إنقاذَ الجرحى بما عرفْناه من مبادئِ الإسعاف، فالمخيمُ منطقةٌ عسكريّةٌ مغلقةٌ، والاتصالاتُ شبهُ مقطوعةٍ أغلبَ الأوقات. سعى الشبابُ إلى انتشالِ الجرحى على عرباتِ الحمير؛ ليوصلوهم إلى مشفى «الشهيد كمالِ عدوانَ» المحاصر؛ لعلّهم يعطونهم فرصةً أخيرةً للحياة، فيما ارتقى الشهداءُ الأطهارُ -من دون عذاب- إلى روحٍ وريحانٍ وربٍّ راضٍ غير غضبانَ... وبقيتْ أرواحُنا عنيدةً حتى على الموت، بعدها نزحَ أغلبُ الجيران بحثًا عن النجاةِ من الاستهدافِ المباشرِ المتكرر للحيّ. الدباباتُ على بُعدِ أمتارٍ فقط من منزلنا، تقتربُ كلّ يوم من حيّنا، وقذائفُها تتهاطلُ مطرًا طيلة الوقتِ فوقَ رؤوسنا، ولا نريدُ المغادرة، فلا مكانَ يمنحُنا الأمانَ في بلادِ القهرِ والموتِ! مضى أسبوعانِ من العذابِ والمعاناةِ والقصف المنهجيّ المستمر، والحرقِ المكثّف للمساكنِ والمخازنِ والأسواقِ، وطالتِ العمليةُ العسكريّةُ التي وصفَها جيشُ الاحتلال بالمحدودةِ، ونفدَ خزّانُ الصبرِ الذي كان قد عُبّئ بما تبقى من إيمان وعقل نسأل ثباتَهُما من هولِ ما نلقى. صرنا نعدُّ العائلاتِ المتبقيةَ في المخيمِ على الأصابع، اقترح الرجالُ أن تغادرَ الفتيات، فيما يبقونَ في بيوتهم؛ لحمايتِها وحراستِها، بينما اقترحت النساءُ أن يخرج الرجالُ فيما يبقينَ في منازلهن؛ في سعي لحمايةِ الشبابِ من الانتقام من خلال الإعدامِ الميدانيِّ أو الاعتقالِ التعسفيّ في حال اقتحامِ المنازل، كنّا مستعدينَ ومستعداتٍ للفداءِ من أجلِ أن يَحيا البقيّةُ كرامًا سالمين. رفضَ الشبابُ بقاء الفتياتِ والنساءِ وحدهن، ورفضَتِ النساءُ تركَ الشبابِ وحدهم، وكانَ القرارُ الموحَّد: إمّا أن نعيشَ جميعًا، وإما أن نموت جميعًا.

عمل للفنان الفلسطيني نبيل عناني

▪▪▪

كان ذلك تجسيدًا واضحًا للسحجة الفلسطينية التي تغنّى في الأعراس الفلسطينية، لكنّ أهلَ المخيّم اليوم يقولونها في مقامِ الأتراح المُقامة على أشلاء الشهداء:

«ويّاك وياك يا اللي ربيت أنا وياك
وإن متت متنا سوا وإن عشت أنا وياك
يا أحباب يا أحباب كيف الحال وكيف انتو
وانتو لينا على العهد ولا تغيرتو؟!
يا دار يا دار لا تبكي ع أصحابك
راحوا بلاد الطمع وسكروا أبوابك
والله يا دار لو عدنا كما كنا
لأكسيك يا دار بعد الشيد بالحنّة
يا شمس بعد المغيب تفقدي الأحباب
وتفقدي اللي حضر وتفقدي اللي غاب»

▪▪▪

في هذهِ الحرب، كما في كل حرب، بقيَ المخيم عامرًا، واحتضنّا بينَ أزقته المهجّرين من بيت لاهيا وبيت حانون شمالًا، ومن مخيم الشاطئ وحي الرمال غربًا، ورفضنا -كما في كل مرةٍ- التهجير. لكنْ، شهدَ المخيم في هذه المرةِ ما لم يعهدْه من السلاح المطوّر، ودارَ علينا دولابُ التهجير الذي حاولْنا الفرارَ منه... لا مهربَ، فالتهجير قدرُ الكلّ في غزة!

انهارتِ المنازلُ من حولنا في منطقة الفالوجا ليلةَ الجمعةِ (24 أيار/ مايو 2024)، وصارتِ الدباباتُ نهارَ الجمعةِ أقربَ إلينا من ذي قبل، خرجَ أخي ليستطلعَ أمرَ الحارة، فسقطتْ صواريخُ أخرى على بيوتِ جيرانِنا، وارتقى مزيدٌ من الشهداء، لم يستطع الشبابُ دفنهم؛ لعنفِ الغاراتِ ونسفِ البيوت، فكان قرارُ المتبقينَ بضرورةِ المغادرة جميعًا وإلا داستْنا الدباباتُ، أو أعدمَنا الجيشُ في البيوت، أو فجّرَها وحرقَنا أحياءً مثلما يفعلُ في كلّ اجتياحٍ أو مداهمةٍ لأيِّ منزلٍ في غزّةَ، بحسب رواياتِ الشهودِ الناجينَ.

خرجْنا بدموعِنا من بينِ القذائفِ الناريّة، وشاهدْنا ألسنةَ الدخانِ واللهبِ تبتلعُ العماراتِ، وكراتِ الحجارةِ تتساقطُ من البيوتِ، ألقيْنا نظرةَ الوداعِ على الديارِ التي أُخْرِجنا منها بعدَ أسبوعينِ كاملينِ من الصمودِ تحتَ الحصار. انسحبَ الاحتلال بعدها بأيامٍ جزئيًا من المخيم، عادَ الشبابُ في البدايةِ يومَ الخميس (30 أيار/ مايو 2024)؛ ليتأكّدوا من الانسحابِ الكامل، وليحاولوا استصلاحَ البيوتِ بعدَ هجوم التتار، وتنظيفِ الشوارعِ ليهيّئوا عودةَ المهجّرينَ إليه.

بعد الاجتياحِ الأخير، تكشّفت الفاجعةُ، إذ حُرقت المدارسُ، وجُرّفت أسوارها، وقُصفت المنازلُ، وحُرقت المحالُ التجارية، وفُتِحَت شوارعُ جديدةٌ في المخيم، إلى درجة أنني استطعتُ اختصارَ المسافاتِ فيه بعد تجريفِ منازلِ المواطنين، كما لم أتعرف على كثيرٍ من الأماكنِ فقد مُسِحَت بالكامل.

لكن يمكننا القول - بكل فخر- إنّ أسرعَ عودةٍ للمهجّرينَ إلى منازلهم كانت في مخيم جباليا، فلم أتوقعْ أن تعودَ الحياةُ إليهِ بهذا الشكل، فقد صُدِمتُ يوم الجمعة حينَ رجعتُ، من حجمِ الكارثة، لكنّ روحَ مخيّم جباليا لا تهدأُ ولا تستكينُ، وإرادةُ البقاءِ فيه عجيبةٌ وغريبةٌ، فالكلُّ بعدَ تدميرِ بيوته أصلَحها، أو سكنَ أنقاضَها، أو ما تبقّى فيها، أو نصبَ الخيامَ فوقَ أرضِه، أو بنى الحجارةَ من جديدٍ... الكلُّ استعادَ قوتَه فجأةً، جميعُنا ننكشُ الحجارةَ؛ بحثًا عن أشيائِنا، أو محاولةً لاستعادةِ السُّكنى بعدَ الخراب. وبذلك خابتْ كلُّ قوى الإرهابِ، وخسئتْ كلُّ محاولاتِ الإبادةِ والتهجيرِ، وعاشتْ إرادتُنا.